مجلة الدراسات التربوية والعلمية - كلية التربية - الجامعة العراقية
العدد الحادي والعشرون - المجلد الخامس - التاريخ - حزيران 2023 م
doi.org/10.52866/esj.2023.05.21.09

فلسفة الاخلاق عند ابن ابي الربيع
من خلال كتاب سلوك المالك في تدبير الممالك

م د زينب عبد الجبار عباس المفرجي
وزارة التربية/ تربية بغداد/الكرخ الاولى
zanb1724@gmail.com

مستخلص:

يعد كتاب سلوك المالك في تدبير الممالك المؤلف الوحيد لهذا المفكر وهو ابن ابي الربيع ربما لديه مؤلفات لم تصل الينا لحد الان لكن هذا الكتاب فيه من كم هائل من المعلومات في كافة العلوم والمعارف لذا احببت ان القي الضوء عليه من ناحية الفكر الاخلاقي لهذا المؤلف وابرز الجوانب الاخلاقية التي تطرق اليها فلقد خصص فصل كامل لهذا اضف الى ذلك كيف بينه وبين السياسية وكيف بين ان المجتمع هو وحدة لا يمكن ان نفصل بين الاخلاق وبين اي جانب من جوانب كذلك ربطه بينها وبين القوى المرتبطة بالعقل اي الدماغ وبين القلب والكبد والذي اجملها بالقوى الغضبية والشهوية والنطقية او الفكرية.

الكلمات المفتاحية : ابن ابي الربيع ، الفضائل والرذائل ، الخلق .

Ethics and its philosophy according to Ibn Abi Al-Rabi`
Through the owner's behavior book in managing kingdoms

Abstract :

The book ((Saluk Al-Malik fi Tadbeer Al-Mamlaka)) is the only author of this thinker, Ibn Abi Al-Rabi`. The morality that he touched upon has devoted a whole chapter to this. Add to that how it is between it and politics, and how he explained that society is a unity that cannot be separated between morality and any aspect, as well as linking it with the forces connected to the mind, i.e. the brain, and between the heart and the liver, which is beautifully illustrated by the forces of anger and lust. verbal or intellectual.

Keywords: Ibn Abi Al-Rabi`, virtues and vices, manners .

المقدمة

يتناول البحث فلسفة الأخلاق عند ابن ابي الربيع في كتابه سلوك المالك في تدبير الممالك وابرز الجوانب الفكرية التي اكد عليها من حيث تأكيده على الاخلاق والتمسك وفق ما جاء في الشريعة الاسلامية وفي السنة النبوية ووفق ما متعارف عليه من العادات والتقاليد بما استند عليه من الحكم والوصايا التي جاءت على لسان العلماء والمفكرين واستشهد بها في كتابه.

كما ان ابن ابي الربيع تناول الاخلاق بأسلوب فلسفي بحت وتحدث بها من حيث ارتباطها بحياتنا الاجتماعية كذلك اوردها في السياسة ودورها في بناء مؤسسات الدولة من اعلى فلاد في المجتمع وهو الملك الى اقل فرد وشملت آرائه الملك والوزير والكاتب والحاجب والرعية وغيرهم من افراد المجتمع.

كما اوضح ابن الربيع في مؤلفه تعريف الخلق واشار الى الاخلاق المحمودة والتي سماها الفضائل والاخلاق المذمومة والتي اطلق عليها الرذائل ودعا الى التمسك بالأخلاق المحمودة والابتعاد عن الاخلاق المذمومة.

ويحتوي البحث على مقدمة وتمهيد و مبحثين وخاتمة وقائمة بالهوامش والمصادر التمهيد يتحدث عن حياته والتعريف بمؤلف الكتاب وهو ابن ابي الربيع وكذلك يتضمن تعريف بالكتاب وهو سلوك المالك في تدبير الممالك كذلك يتضمن نهج المؤلف واسلوب كتابته للكتاب .

اما المبحث الاول فيشمل تعريف الاخلاق واقسامها كذلك يحتوي على فلسفة ابن ابي الربيع وفكره الاخلاقي ويحتوي شرح تفصيلي للأخلاق المحمودة وتعني الفضائل والاخلاق المذمومة وتعني الرذائل وارتباط هذه الفضائل والرذائل بالقوى العقلية التي ذكرها وهي الفكرية والغضبية والشهوي اما المبحث الثاني فيتحدث عن ارتباط هذه الاخلاق التي ذكرها اولا بالمجتمع وثانيا بالسياسة ومدى تأثرها وتأثيرها في المجتمع كما يحتوي البحث على الفرق بين الاخلاق والسجايا وفق ما جاء في كتاب ابن ابي الربيع .

تمهيد

- حياته

أحمد بن محمد بن أبي الربيع، شهاب الدين (218 – 272 هـ = 833 – 885 م): أديب، كان من رجال المعتصم العباسيّ له تصانيف لم يصل منها سوى كتاب سلوك المالك في تدبير الممالك.[1]

اختلف كثير من الدارسين حول شهاب الدين بن أبي الربيع، فقد اختلفوا على وجه الخصوص في الحقبة الزمنية التي عاش فيها، منهم من يقول إنه عاش في زمن المعتصم وله ألف كتاب سيرة المالك، بينما يرى آخرون أنه عاش في زمن المستعصم، والسبب في ذلك أن كل التراجم لم تذكر عنه شيئا سوى ما ينقله الدارسون عن حاجي خليفة في كشف الظنون[2].

---

(1) الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد ت1396، الاعلام، دار العلم للملايين، ط15، 2002، ص205؛ سركيس، يوسف بن الياس ت1352، معجم المطبوعات العربية والمعربة، مطبعة سيركس، مصر، 1928، ج1 ، ص31.

(2) خليفة، حاجي، مصطفى بن عبدالله ت 1067هـ، كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون، مكتبة المثنى، بغداد، دار احياء التراث، 1941، ج2، ص1000.

ورغم ذلك لم يوافق البعض منهم، وقد اطلعت على مقدمات المحققين، لكتابه، وعلى رأسهم الدكتور حامد ربيع الذي يقطع بشدة أن شهاب الدين بن أبي الربيع عاش زمن المعتصم، وأنه توفي سنة 272 هـ، وقال الدكتور ناجي التكريتي الذي سار على منوال جرجي زيدان إنه عاش في زمن المستعصم، وقد اورد ادلة كثيرة منها ان في كتابه اقتباسات من يحيى بن عدي ومسكويه الذين عاشوا بعد زمن المعتصم .

اما الدكتور حامد ربيع الذي فند ادلة التكريتي في مقدمته الفائقة لتحقيق كتاب شهاب الدين بن أبي الربيع ورجح انه عاش في زمن المعتصم فإن كان قد عاش في هذه الحقبة المبكرة جدا فإننا نستفيد من ذلك مدى سبق مفكري الإسلام إلى كثير من النظريات التربوية.

- التعريف بكتاب شهاب الدين بن أبي الربيع وبعض طبعاته

هو الكتاب الوحيد الذي تحتفظ به المكتبة الإسلامية لحد الآن، طبع في القاهرة سنة 1286هـ، على الحجر في152 صفحة من القطع الكبير، ثم طبع تحت عنوان الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع مع تحقيق كتابه سلوك المالك في تدبير الممالك، وهي نشرة الدكتور ناجي التكريتي، اعتمدت الطبعة الثالثة لسنة 1983دار الاندلس لبنان بيروت وطبعة دار كنان دمشق سوريا سنة 1996 في بحثي، وقد نشرته مطابع دار الشعب بالقاهرة سنة 1980 في مجلدين اضافيين استغرق الأول منهما وجزء من الثاني المقدمة الرائعة التي كتبها له المحقق، ثم طبع سنة 1416 هـ بدار العاذرية الرياض بتحقيق الأمير عبدالعزيز بن فهد بن عبدالعزيز، تحت عنوان سلوك المالك في تدبير الممالك وكلها اكد محققوها أن الكتاب ألف في عهد المعتصم العباسي باستثناء الدكتور ناجي التكريتي، ولعل هناك طبعات أخرى لا أعرفها.

يبدا الكتاب بالحمد لله الذي خلق الانسان بأحسن تقويم ورفعه على ممن خلق بالتكريم وفضله وامره بمكارم اخلاق وتزكية النفس يذكر بعد ذلك فضل الاسلام والحث على مكارم الاخلاق ويذكر فضل الرسول والصحابة رضوان الله عليهم وسيرهم الشريفة المتمثلة بالأخلاق[1] .

- منهجه في الكتابة

نلاحظ الروح الإسلامية واضحة جدا في أسلوب المؤلف فبعد ان حمد الله تعالى أول الكتاب، أضاف ان الله امر الأنسان بمكارم الأخلاق وتزكية النفس التي خلقها فسواها حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿**قَد أَفلَحَ مَن زَكَّيٰهَا * وَقَد خَابَ مَن دَسَّيٰهَا**﴾[2] فهو يستشهد بالآيات القرآنية ويمزجها بأسلوبه كذلك تأثره بالفلاسفة الرومان واليونان وكان جليا تأثره بالفلاسفة العرب وخاصة الذين كتبوا بالأخلاق الذي هو محور بحثنا هذا ومساله التأثر والتأثير هي ليست جديدة وإنما هي إضافات لموروثنا الحضاري.

اما عن اسباب التي دفعته لتأليف هذا الكتاب هما سببين هما :

السبب الأول أنه وقف على كتاب مشجر في حفظ صحة البدن مختصر ذكر فيه ان النفس اشرف من البدن فرأى ان اصلاح اخلاق النفس وتزكيتها بالعلم .

أما **السبب الثاني** هو اطاع من اشار عليه بذلك

(1) ابن أبي الربيع ، شهاب الدين احمد بن محمد، سلوك الملك في تدبير الممالك، تحقيق عارف احمد عبد الغني، دار كنان، دمشق، سوربا ، 1996، ص35.

(2) القران الكريم، الشمس ، أية 9 – 10 .

من ذوي المقام الرفيع .

ويشير المؤلف في مقدمة كتابه الى شيئين مهمين: الاول انه يسمي دراسة السلوك البشري بعلم الاخلاق والثاني انه يذكر صراحة انه تأمل ما وجد من الكتب في هذا العلم تأملا للتشجير والتقسيم .

وهذا الكتاب يحتوي على اربعة فصول :

الفصل يشمل مقدمة الكتاب أما الفصل الثاني فيتحدث عن الأخلاق وأقسامها وهي محور بحثنا هذا أما الفصل الثالث فيدرس أصناف السيرة العقلية وانتظامها أما الفصل الرابع فيبحث في أقسام السياسات وأحكامها[1] .

ثم يذكر ابن ابي الربيع في كتابه: بعض من الحكم والامثال على لسان العلماء والحكماء والملوك منها يذكر وصايا لحكيم منها ينصح: ولا تحقر عدوك ثم يفسرها ان معناه: لا تستصغر اليسير من الهوى. وهو بهذا لا يكتفي بذكرها بل يفسرها ويعطيها معانيها. او ان بعض العلماء يذكر ان الكذب قبيح من الحكماء والبخل قبيح من الاغنياء او ان بعض الملوك ينصح وزيره : لا تحمل على بدنك ما لا تطيق ثم يكتب جدولا في صفحتين يذكر فيها 20 وصية لعلماء وحكماء وملوك فالوصايا الاخلاقية لا تفوت اي مفكر اخلاقي .

المبحث الاول

الاخلاق وفلسفتها عند ابي الربيع

هذبنا الاسلام على الاخلاق وادبنا عليها ونادت بها جميع الديانات السماوية لما لها من اهمية في تهذيب النفوس البشرية واصبحت الحاجة لها من ضروريات الحياة في وقتنا الحاضر.

بدء ابن أبي الربيع فصل الاخلاق بقوله: "قد ثبت بالقول و بالبرهان الصادق ان الانسان من بين سائر الحيوان ذو فكر تميز فهوا بدأ يختار من الأمور أفضلها و من المراتب اشرفها و من المقتنيات انفسها اذا لم يعدل عن التميز في اختياره ولم يغلبه هواه في اتباع أغراضه و أولى ما اختاره الانسان لنفسه ولم يقف دون بلوغ غايته ولم يرض بالتقصير عن نهاية تمامه و كماله ، إذ هو من تمام الانسان وكماله ان يكون مرتاضا بمكارم الاخلاق و محاسنها ومتنزها عن مساوئها ومقابحها"[2] .

يشير ابن الربيع في كتابة ان بوادر الاخلاق تظهر من الطفولة وتوضح فيها تشاهد و تعاين فيهم فلا يسترونها برويه ولا مكر كما يفعل الرجل لقوله: "خاصه في الأطفال فإن اخلاقهم تظهر من نشؤهم ولا يسترونها كما يفعل الرجل التام الذي انتهى في نشوئه و كماله"[3] .

وقد وضح ابن الربيع ان الناس مراتب في قبول الاخلاق الفاضلة ونفورهم منها إلى الاتجاه الاخر حيث يذكر: "ان الناس ليسوا على مرتبه واحده وان فيهم المواتي و الممتنع و السهل والفظ العسر والخير والشرير والمتوسط بين هذه الأطراف في مراتب لا تحصى كثره واذا اهملت الطباع ولم ترض بالتأديب والتقويم نشأ كل إنسان على سوء طبعه" .

ونادى أيضاً ابن الربيع ان تكون خلق وخلقاً وان نحصي هذه الأفعال و الاخلاق وان نتأمل اي خلق نجد أنفسنا عليه.

لقوله: " السبيل إلى الوقوف على ذلك ان تتأمل اي فعل اذا فعلنا لحقنا من الفعل لذه واي فعل اذا فعلنا نتأذى به فإذا وقفنا عليه نظرنا الى ذلك الفعل

(1) ابي الربيع ، م، ن ، ص35.

(2) ابي الربيع، احمد بن محمد، شهاب الدين، سلوك الملك في تدبير المسالك، تحقيق ناجي التكريتي، دار الاندلس للطباعة، 1983، ط3، ص43.

(3) م ، ن ، ص44.

اهو فعل يصدر من الجميل ام هو صادر من الخلق القبيح فإذا كان ذلك كائنا عن خلق جميل قلنا ان لنا خلقا جميلا وان هو صادر عن الخلق القبيح قلنا ان لنا خلقا قبيحا " [1].

دعا ابن ابي الربيع في كتابه إلى الوسطية في الأمور و ان لا نميل في أخلاقنا إلى زيادة و النقصان وان نلتزم الوسط و تقف عنده و من لم يقارن يميل إلى الزيادة او النقصان و بالتالي تكون افعالنا على هذا المحور و عليه قسم الخلق إلى صل إلى ثلاثة أحوال هي "الوسط و المائل عنه والمائل اليه"[2] لان غاية عالمنا الوصول الى السعادة الخلقية وان تصدر عنا الافعال الجميلة.

و يعرف ابن أبي الربيع الخلق فيقول: "ان الخلق حال بنفس داعيه لها الى أفعالها عن فكرة وروية ثم يقول بعدها ان الخلق اما ان يكون طبيعيا من أصل الخلقة او مستفادا بالعادة مبدا ذلك بالفكر والروية ثم يستمر عليه حتى يصير عادة وملكة يقارب الطبيعي ثم ينصح بعدها بأن يشبع الانسان قواه العقلية و يضعف من قواه البهيمية حتى تصلح نفسه ثم يقول ان الفلاسفة قد اجمعت على ان جميع أجناس الفضائل التي لا تحتاج في اقتناء كمال النفس إلى غيرها هي اربعه الحكمة ، العفة ، الشجاعة ، العدالة"[3] .

و من الجدير بالذكر ان تعريفه تشابه مع عدد من الفلاسفة و منهم يحيى بن عدي ومسكويه "الخلق حال للنفس داعيه لها إلى أفعالها من غير فكر و رويه"[4].

وابن عدي "الخلق حال للنفس لها يفعل الانسان بلا ريبه ولا اختباره"[5] .

و تعريفهم تشابه مع جالينوس لقوله: " الخلق حال للنفس داعيه الانسان إلى ان يفعل افعال النفس بلا رويه و لا اختباره "[6] .

وقد اشار ابن ابي الربيع إلى الفضائل الاربعة وان أصلها هو الحكم و فضيلتها الحكمة و القوه الغضبية و فضيلتها الشجاعة و القوه الشهوانية و فضيلتها العفة[7].

وان فضيله العدالة هي ان توازن بين القوات الثلاث حيث أخذها الفلاسفة من بعده لا سيما المسلمون و استعملوها في كتاباتهم و بنوا على أساسها نظرياتهم في الفلسفة الخلقية [8].

اما عن ابن ابي الربيع : فيفصل بين قوى النفس و يعرفها بالقوى الفكرية عنده هي العاقلة ومسكنها الدماغ و بها تكون الفكر و يختص بها الانسان و القوه الغضبية و هي الحيوانية السبعية و يشارك الانسان بها الحيوان و من قواها حب الغلبة و الرياسة و القوه الشهوية وهي المغذية النباتية بها يبقى التناسل و بها يطلب الموافق من الاغذية[9].

و يضع ابن ابي الربيع الجداول المشجرة في تقسيم الفضائل و الرذائل وكل همه من ذلك التوسط في الأمور و عدم الإفراط و التفريط [10].

– الخلق واقسامه عند ابن ابي الربيع

اشار ابن الربيع في كتابه الى جزيئة مهمة وهي تعريف الخلق وما هي اقسامه لما له من اهمية في تفسير الكثير من الحقائق المهمة حول هذا الموضوع .

(1) ابن الربيع ، م، ن ، ص44.
(2) م ، ن، ص45.
(3) التكريتي، الفلسفة السياسية ، ص14.
(4) مسكويه، تهذيب الاخلاق ، ص31 .
(5) بن عدي ، تهذيب الاخلاق ، ص50.
(6) التكريتي ، الفلسفة السياسية ، ص 14.
(7) ابن ابي الربيع ، السالك ، ص47.
(8) التكريتي ، الفلسفة السياسية ، ص15.
(9) التكريتي ، الفلسفة السياسية ، ص15.
(10) م، ن، ص15.

تعريف الخلق: حال النفس داعيه لها الى أفعالها عن فكرة و روية واهم اقسامها:

1- طبيعي من أصل الخلقة كمن يحركه أدنى شيء نحو الغضب و كمن يجبن من ايسر شيء كالذي يفزع من أدنى خوف .

2- ما يكون مستفادا بالعادة: مبدأ ذلك بالفكر و الروية ثم يستمر عليه اولا فأول حتى يصير عادة و ملكة يقارب بالطبيعي[1] و هنا هو يربط بين الخلق و قوى الخلق من وجهة نظره فيقول:

"اذا علم ان لكل شخص قوتين:

1- عقليه. 2- وبهيميه .

ولكل واحده منهما اراده و اختيار و هو كالواقف بينهما ولكل واحدة نزاع غالب فنزاع القوه البهيمية نحو مصادقه اللذات الشهوانية ونزاع القوة العقلية أعني النطقية نحو العواقب المحمودة "[2].

- الفضائل والرذائل

استخدم ابن ابي الربيع لفظة الفضائل والرذائل في كثير من افكاره واقواله وفيها تعبير عن الاخلاق المحمودة والمذمومة واشار في كتابه ان المرء لا يخلو في جميع تصرفاته من امراً محموداً او امراً مذموماً وفي كل الاحوال له فيه فائدة فيها تقويم وتهذيب للنفس في حال انحيازه لأي من الامرين فيها رياضه للنفس على حد قوله فهو يحتال للتمسك بالمحمود واذا تلقاه الامر المذموم فيحاول الابتعاد والتحرر منه والغاية من ذلك هو الإصلاح لأخلاقه[3].

ويرى البعض ان الاصل في الاخلاق المحمودة هو الخشوع وعلو الهمة وهي التي اقرها الشرع ولا يتعارض مضمونها مع العقيدة الاسلامية كالصبر والشجاعة والعدل والمرؤة والعفة والجود والحلم والعفو والصفح والايثار وعزة النفس عن الدناءات والصدق والنصيحة وقول الحق وغيرها من الاخلاق التي ذكرت في القران ومنها سورة يوسف[4] وخصوصاً النصيحة التي تعد من الاسس العامة فهي مساوية للدين[5] كله لقوله عليه الصلاة والسلام "الدين النصيحة"[6].

- الفضائل

فيما يخص هذه الجزئية يشير ابن ابي الربيع في كتابه انه قد اجمعت الفلاسفة على ان جميع اجناس الفضائل التي لا تحتاج في اقتناء كمال النفس الى غيرها مجتمعه في اربعة اصول تتفرع منها فروع كثيرة :

- **الحكمة** : وهي علة صحة الفكر والروية والتميز في سائر الاشياء وقوامها في القوة الفكرية
- **العفة** : وهي علة الورع وضبط النفس عن الشهوات المؤذية الفانية وقوامها في القوة الشهوانية
- **الشجاعة** : وهي علة الاقدام وان لا ينهزم المرء عن الشدائد والمخاوف وقوامها القوة الغضبية.
- **العدالة** : وهي صحة الافعال ووضعها في مواضعها اللائقة بها قوامها في اعتدال هذه القوى)) .

(1) ابن ابي الربيع ، السالك، ص46.
(2) م، ن ، ص46.
(3) م، ن ، ص47.
(4) الخطيب، محمد ابراهيم مصطفى، القيم الاخلاقية المحمودة والقيم الاخلاقية المذمومة في سورة يوسف، عمان الاردن ، مجلة البحوث النفسية التربوية ،العدد الثالث، 2009، ص53 .
(5) حنبكة، عبد الرحمن حسن، الاخلاق الاسلامية واسسها، ج2، دار القلم، دمشق ،2002، ص371
(6) النووي، الامام الحافظ محي الدين ، منهل الواردين شرح رياض الصالحين ،ج1، دار العلم بيروت ، 1970 ص172، حديث رقم 180.

واوضح معاني بعض المفردات التي تستخدم في التعبير عن خلق معين فتحتاج الى معرفتها منها مثلا ((معنى خيرا هو الامر المرغوب فيه لذاته اما شرا هو الامر المرغوب عنه لذاته والمعنى المسمى نافعا هو السبب المؤدي للخير وضارا هو المؤدي للشر))[1].

تناول ابن ابي الربيع جانب الاخلاق في كتابه بأسلوب فلسفي بحت مقتديا بالعديد من الفلاسفة الاقدمون سواء من الرومان او اليونان ومن الفلاسفة العرب كأمثال الكندي والفارابي وابن مسكويه وغيرهم كثير .

لكنه اشار الى لفظة مهمة وهي "ان جميع الفلاسفة مهما اختلفوا فانهم لم يختلفوا عن امر النفس بان لها قوى ثلاث الانفة الذكر وهي الفكرة والشهوة والغضب بل كلهم متفقون على ذلك . والحق انه ليس الامر الذي يصدر عنها ليس واحدا فليست تفعل ذلك بقوة واحدة بل القوى الثلاث مختلفة تفكر بواحدة وتشتهي بأخرى وتغضب بأدنى"[2] وهذه القوى كالآتي:

- **القوة الفكرية** : مسكنها الدماغ واحد قواها الفارق بين الحق والباطل فان اعتدلت وصف صاحبها بالعقل وان زادت وصف بالمكر والخبث وان النقصان بوصفه بالبلادة
- **القوة الغضبية**: هي الحيوانية ومسكنها القلب واحد قواها حب الرياسة فان اعتدلت يوصف صاحبها بالشجاعة والفروسية وان زادت وصف بالتهور وان نقصت وصف صاحبها بالجبن.
- **القوة الشهوية**: وهي المغذية النباتية ومسكنها الكبد وبها يبقى التناسل والادب فان اعتدلت وصف صاحبها باعتدال الشهوة وان زادت وصف بالشره والنهم وان نقصت يوصف بالكلال))[3].

فمن خلال هذه المبادئ والاصول تنشا السجايا والاخلاق في الانسان بتوسط تلك الفضائل من غير افراط ولا تفريط ويطلق عليها ايضاً محاسن وما كان غير متوسط كان مذموما ويسمى المساوئ او الرذائل.

فالصبر قوة خلقية من قوى الارادة تمكن الانسان من ضبط النفس لتحمل المشاق والتعب والالام وبالصبر يتصرف بعقل واتزان وبحكمة في حل مشكلاته[4] لذلك كان الصبر ضياء كما ثبت في الصحيح لقوله عليه الصلاة والسلام "الطهور شطر الايمان والحمد تملا الميزان وسبحان الله والحمد لله تملان ما بين السموات والارض والصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقران حجة لك"[5].

يتضح لنا من هذا التقسيم مدى الترابط بين اعضاء الجسد الدماغ والقلب والكبد والنفس وتأثيرها على الاخلاقيات وسلوك البشر واتجاهات هذه السلوكيات نحو الخير او الشر ومن ثم تقرير مصير الانسان في اخرته.

وقد سبق هذا النظريات قراننا الكريم عندما حدثنا عن انواع النفس في آياته الكريمة عندما

(1) ابن ابي الربيع ، السالك ، ص 47 – 48.
(2) م ، ن ، ص48.
(3) ابن ابي الربيع ، السالك ، ص48 – 49.
(4) الخطيب، القيم الاخلاقية المحمودة والمذمومة ، ص58.
(5) مسلم ، بن الحجاج ابو الحسن القشيري ت 261هـ، المسند الصحيح ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار احياء التراث ، بيروت ،ج1 ص202، ومسند احمد بن حنبل، ابو عبدالله احمد بن محمد ت241هـ، المسند، تحقيق شعيب الارناؤوط، مؤسسة الرسالة، 2001، ج30 ، ص220.

اشار بقوله تعالى: عن النفس اللوامة ﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾[1] والملهمة بقوله تعالى : ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا * فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا﴾[2] والنفس الامارة بالسوء بقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[3] وقوتها في تحريك النفس البشرية وخلق التوازن من دون زيادة او نقصان .

ومن خلال تتبعي لكتاب السالك في تدبير الممالك وجدت ان ابن ابي الربيع دقق في تفاصيل كثيرة عن تحليل النفس وفضائلها ورذائلها وقسمها حسب القوى الثلاث السالفة الذكر وشرح شرحا دقيقا لكل واحدة من ناحية المعنى والسبب والعلة وملحقاتها وكل تبعاتها لذا ارتأيت ان اجمل هذه الفضائل لجميع القوى وذكرها بالشكل الاتي:

فضائل القوة الفكرية: هي الحكمة والعفة والصدق والفهم والتميز والذكاء والحفظ[4] وهناك تفاصيل دقيقة عنها اعطى لكل واحدة معناه فلم اذكر المعاني خشية الاطالة في البحث .

اما **فضائل القوة الغضبية:** هي الشجاعة والحلم والفروسية والحلم والرحمة والبشر وحسن الخلق وهذه كانت من اعظم صفات نبينا الكريم عليه افضل الصلاة والسلام لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ﴾[5] ومن الفضائل الاخرى العفو وعظم الهمة والانفة والغيرة والتواضع وكبر النفس والنجدة والشهامة واحتمال الكد والثبات.

اما فضائل القوة الشهوية: فهي الوقار والصيانة والادارة وحسن السمت (تعني محبة النفس وتكمليها بالزينة) والحرية والدماثة والورع والحياء والسخاء وهذا بذل المال من غير مسالة ما لم الى تبذيره وهو بدوره ينقسم الى عدة اقسام منها الكرم والايثار والنبل والسماحة والمسامحة والمواساة بالمال والبدن والعلم والكلام[6]

وحسب قوله تقسم الفضائل الى قسمين:

- ما اوجب ثناء المخلوقين وهو ما عاد نفعه عليهم .
- ما اقتضى ثواب الخالق وهو ما قصد به وجه الله سبحانه وتعالى[7].

ونقل ان الاخلاق غرائز كامنة تظهر بالاختبار وتقهر بالاضطرار وللنفس اخلاق تحدث عنها بالطبع ولها افعال تصدر عنها بالإرادة منها اخلاق الذات وافعال الارادة والانسان مطبوع على اخلاق كل ما حمد جميعا وذم سائرها.

من الملفت للنظر ما ذكره ابي الربيع ان الوصول للأخلاق المحمودة والفضائل تكون لها اسباب وتحتاج منا ان نعرف علم الاسباب لنستعين به وهو عرضا مأخوذا من كلام امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه وجعله مثلا استشهد به في كتابه بقوله:

سبب الحلم: التواضع وسبب الغنى: القناعة وسبب النبل: العفاف وسبب الادب: المواظبة وسبب الثناء: السخاء وسبب الحظوة: الصدق وسبب الجود: الفضل وسبب الرزق: الطلب[8].

وابن ابي الربيع كان يسعى في كتابه للوصول بالإنسان الى درجة الرقي والكمال في الاخلاق وذلك باستعمال الفضائل المأمور بها والابتعاد عن الرذائل المنهي عنها التي من شانها ان تصل

(1) القران الكريم ، سورة القيامة ، اية 2.
(2) سورة الشمس ، اية 7 – 8.
(3) سورة يوسف ، اية 53 .
(4) م ، ن، ص49.
(5) القران الكريم ، سورة القلم اية 4.
(6) ابن ابي الربيع ، السالك ، ص52 – 56.
(7) م ، ن ، ص62.
(8) م ، ن ، ص56.

بالشخص الى (نفس طاهرة وطبع زكي وعقل نقي من دنس الآراء والمذاهب الزائفة عن الحق) وان يسير الانسان وتجري اموره وفق الحكمة الالهية والشرعة النبوية والعادات والعقلية وتعمر البلاد وتطرد الرئاسات منقادة الى رئاسة واحدة ورئيس واحد وهذا الانسان في اكمل المراتب الانسانية واعلى درجات السعادة الابدية وذلك باجتماع هذه الفضائل فيه وهي :

- ان يكون له قدرة على جودة التخيل لكل ما يعمله من اعمال السعادة .
- ان يكون صحيح الاعضاء تواتيه على ما يريد من الاعمال البدنية.
- ان يكون جيد الفهم والتصور عالما بكتاب الله عاملا به.
- ان يكون جيد الحفظ لما براه ويسمعه ولا ينسى ما يتركه من العلم .
- ان يكون جيد الفطنة ذكيا اذا رأى الشي ادنى دليل فطن له .
- ان يكون حسن العبارة يوانيه لسانه على ابانة جميع ما في ضميره.
- ان يكون محبا للتعلم والاستفادة منقادا سهل القبول لا يؤلمه تعب التعلم .
- ان يكون محبا للصدق واهله كارها للكذب واهله طبعا لا تكلفا.
- ان يكون غير شره على الشهوات مبغضا لما ساءت عاقبته من اللذات.
- ان يكون كبير النفس محبا للكرامة يعظم نفسه عن كل ما يشين من الامور .
- ان يكون محبا للعدل والصدق واهلهما مبغضا للجور والظلم واهلهما منصفا من نفسه .
- ان يكون قوي العزيمة على ما ينبغي غير خائف من الموت ولا ضعيف النفس .
- ان يهون الدينار والدرهم وسائر الاغراض الدنيوية الفانية.

فان تفرد بهذه الخصال من هذا العالم انتشرت محاسنه مهاد الارض وشاع جميل ذكره في اكناف السبع.[1]

- الرذائل

اول ما بدء عنوانه ذكر انها موجودة في الاكثر غالبة عليهم وينقسمون اليها على اقسام فمنهم من لا ينتبه فاذا انتبه احس بقبحه ومنهم من اذا اراد العدول عنها لم يسعده طبعه ومنهم من يتظاهر بها وينقاد اليها وهم الاشرار ومنهم من ينتبه بجودة الفكر الى قبحها فيأنف وهذه القوى اي الناطقة والغضبية والشهوية لا تخلو من سائر احوالها ان تكون معتدلة بأجمعها او لا ؟

فان اعتدلت صدر عنها العدل وهو فضيلتها ويتفرع عنها فروع كثيرة منها الصداقة والالفة وصلة الرحم والمكافاة وحسن القضاء[2] والتودد ويكون على اقسام منه ما هو من الطبيعة كتودد الاباء والامهات لأبنائهم او ما يكون من قبل المصاحبة كالصداقة او ما يكون غريب كوصية قوم ما برجل ما ليعتني به

وان خرجت عن الاعتدال صدر عنها الجور والظلم وهو رذيلتها بأجمعها وخاصيته تعدي الحق في كل شيء وينقسم الى :

الظلم والنذالة والعجز[3] .

---

(1) ابن ابي الربيع، السالك في تدبير الممالك ، تحقيق عارف عبد الغني، ص40 – 41 .

(2) ابن ابي الربيع ، السالك ، ص50 .

(3) م ، ن، ص51 .

وقد فصل الرذائل حسب القوى فمثلا :

رذائل القوة الناطقة: تصدر عنها هذه البلادة والمكر والخبث والجهل والكذب والحمق والخرق والغدر والتبذل والنميمة والرياء والسفه[1] .

اما **رذائل القوة الغضبية** فتصدر عنها : رذائل مثل الكبر والعبوس والجبن واللهو والقيادة والعجب وشرار الخلق وصغر الهمة والحسد والحقد والطيش ومن شر رذائلها الغضب والخوف واللهو والحقد والكسل والذعر والمضادة تعني العناد والغدر والتعيير والهزء والزهو[2] وغيرها .

اما الرذائل الصادرة من القوة الشهوانية هي: الفجور والشره والبخل والخيانة وافشاء السر والمجون وبطلان الشهوة والشماتة والشح[3] وغيرها.

ونقول ان الشي الواحد بعينه من شانه ان يفسد من الزيادة والنقصان، كما قد نرى في القوة وفي الصحة فان الرياضة الزائدة والناقصة تفسد القوة وكذلك الاطعمة والاشربة اذا زادت على ما ينبغي او نقصت افسدت الصحة وكذا الحال بالنسبة للشجاعة والعف لانهما يفسدان من الزيادة والنقصان.

لذلك نراه كما قلنا يدعو للوسطية اي التوسط بين الفضائل والرذائل مثال على ذلك :

الحكمة وسط بين الجهل والدهاء وبين الهم والبلادة من جانب اخر والشجاعة وسط بين الجبن والتهور من جانب والخوف والاقدام من جانب اخر والسخاء وسط بين الاسراف والتقتير من جانب والامساك والتدبير من جانب اخر[4] وهكذا بالنسبة لبقية الاخلاق.

(1) م، ن ، ص51 – 52.
(2) م ، ن ، ص52 ـ 53.
(3) م ، ن ، ص56.
(4) ابن ابي الربيع ، السالك ، ص57 – 58.

– الفرق بين الاخلاق والسجايا

اختلف العلماء في الفرق بين الاخلاق والسجايا فذهب قوم ان السجايا ما لم تظهره الطباع والاخلاق ما اظهرته الطباع وسميت الاخلاق اخلاقا لأنها تصير كالخلقة . وذهب قوم الى ان السجايا لم تتغير بطبع ولا تطبع والاخلاق ما يتغير بهما والشيم كالسجايا. وزعم اكثر اهل الطب ان السجايا والاخلاق تابعة لمزاج البدن فتكون مستقيمة بصحته وتتغير بفساده ، والغرائز ما امتزج بالطبع وذهب المتدينون : الى ان الله تعالى ركبها في النفوس بحسب ارادته وجعل اختلاف الاخلاق كاختلاف الصور[5] التي ليس لها علة غير ارادته والتمايز بالقوة.

ويبرز لدي عند ابن ابي الربيع اختلاف الحكماء في معنى السعادة وارتباطها بالأخلاق من حيث الفضائل والرذائل وهل هي سبب سعادة الانسان؟

فذهب بعضهم الى ان المراد بالفضائل ذواتها لا لكونها المكتسبة للسعادة. وذهب الاخرون الى ان المراد بها السعادة الحاصلة عنها لأنها الغاية المقصودة بها[6].

ويشير التكريتي حول هذا الموضوع بقوله :

عندما يتكلم ابن ابي الربيع عن السعادة يذكر صراحة ان افلاطون يرى ان السعادة خاصة في النفس دون البدن اما ارسطو فيقول انه شارك بها بين النفس والبدن. وتنقسم عنده الخيرات الى قسمين خير محمود عند كل احد كالعدل والصدق والكرم فان ذلك محبوب وخير ليس بمؤثر عند كل احد كالشجاعة والغنى وما اشبهها فانه ليس محبوباً مختاراً عند الجميع[7] .

(5) م ، ن ، ص59.
(6) م ، ن ، ص59.
(7) التكريتي ، الفلسفة السياسية ، ص16.

ويذكر انه يقسم الخيرات الى ثلاثة انواع :

- في النفس كجودة الفضائل .
- في البدن كحسن البدن وصحة اعضائه وسلامته من الآفات.
- خارج عنهما كالمال والسلطان والاصدقاء.

ويقرر بعد ذلك ان الانسان مطبوع على اخلاقه قل ما حمد جميعها وذم سائرها وانما الغالب بعضها محمود وبعضها مذموم فالإنسان السعيد عنده من غلبت فضائله على رذائله لذا يحث الانسان على التخلق بالأخلاق المحمودة والابتعاد عن الاخلاق المذمومة وذلك بالاطلاع على الكتب ومجالسة الفقهاء والزهاد والابتعاد عن مجالسة السفهاء[1] .

المبحث الثاني

الاخلاق والمجتمع عند ابي الربيع

تناول ابن الربيع في كتابه الاخلاق وكيفية التعامل معها في كل العلاقات الاجتماعية مع الانسان نفسه ومع زوجته او المرأة بشكل عام كيفما تكون والولد والاصدقاء والعبيد وذكر كيفية التعامل مع المال والحيوان والنبات وفيها تفاصيل كثيرة .

فيقول التكريتي : ان سياسة الانسان عند ابي الربيع هي ان يأتي بالأعمال الصالحة فمن ناحية سيرته مع اهله وماله وولده وسيرته مع بني جنسه بان يجتهد في بلوغ الكمال . اما سيرته مع بدنه ان يلتزم الاعتدال في الطعام والشراب وباقي الشهوات [2]

ويشير ابن الربيع في كتابه : وليس ينبغي ان يكون قصد الرجل من المرأة لا حسب لان ذلك يدعوه للاتكال ولا جمال لكثرة من يرمقه بالنظر ويكون سببا لفساده ولا مالاً لكونه يبطر الرجل ويفسد ماله[3] وانما القصد ان يظفر بواحدة منها فهو الافضل له ولها .

ويوصي ابي الربيع الرجل ان يتعامل مع المرأة بست احوال :

- ان يبدا يفهمها انه لم يردها من اجل الولد دون العناية بمنزله وتدبيره.
- ان يأمرها بحفظ منزله في حضوره وغيابه وصحته ومرضه وسائر احواله.
- ان لا يمكنها من راس ماله ولا يظهر لها ولوعا وعشقا مفرطا .
- ان يكتم اسراره عنها ولا يطمعها في مطاوعته .
- ان تقتصر على الواحدة ما امكن فهو ادعى للنظام .
- اذا ابتلي بصاحبة ردية فليحتل بالخلاص منها اسرع ما يقدر عليه .
- واما الولد فينبغي ان يؤخذ بالأدب من صغره فان الصغير اسلس قيادا واسرع مواتاه فهو ان اعتاد على ونشا عليه خيرا كان او شرا لم يكد ينتقل عنه . فان عود على الاخلاق والافعال المحمودة بقي عليها ويزيد فيها اذا فهمها . وعلم ان اصلح الصبيان من كان منهم على الحياء وحب الكرامة ومن كانت له انفة فاذا كان كذلك كان تأديبه سهلا ومن كان من الصبيان من الضد عسر تأديبه[4] ثم لابد من اسلوب الترهيب والتأديب بعد ذلك.

اما العبيد فأسلوب التعامل معهم وفق ما اقره الشرع في الاسلام وما جاء في الكتاب والسنه فيذكر ابن ابي الربيع بقوله: ينبغي ان يحفظ عبيده

(1) ابن ابي الربيع ، السالك ، ص60 – ص62 ؛ التكريتي ، الفلسفة ، ص16 .
(2) التكريتي ، الفلسفة ، ص18 .
(3) ابن ابي الربيع ، السالك ، ص78 .
(4) ابن ابي الربيع ، السالك ، ص79 .

كما يحفظ اعضائه ويفكر بأمرين هما :

- انهم من نفس الجنس الذي يجمعهم واياهم.
- فيما ابتلوه به .

وان لديهم مراتب من الاحسان كلما احسن رفعه وان تكون خدمتهم محبة لا خيفة وطاعتهم رغبة لا رهبة ويجتهد في قضاء حقوقهم[1] .

كذلك اوضح اسلوب التعامل مع الاباء والمعلمين والرؤساء الذين يعدون هؤلاء فوقه فالآباء هم سبب نشوئه والمعلمين هم سبب نشوء نفسه وجوهر النفس اشرف[2] وان يراعيهم عند التكلم والجلوس والضحك وكل احوال الاخلاق تراعى في التعامل معهم

اما سيرته مع الاكفاء وهم الاخوان والاصدقاء فعليه ان يختار افضلهم فيحترم الكبير ويوقر الصغير ولا يغفل عن خدمتهم وقضاء حقوقهم[3]

اما الاصدقاء فهم نوعان :

الاول اصدقاء مخلصون وسيرته معهم ان لا يؤاخذهم بالتقصير ويجتهد في الاكثار منهم ومواساته لهم وتفقد اقاربهم وعيالهم وان يبداهم بالبر

اما النوع الثاني من الاصدقاء فهم اصدقاء بالظاهر وسيرته معهم ينبغي ان يجاملهم ولا يطلعهم على اسراره والصبر عليهم وان لا يخصهم بالحديث [4]وغيرها

وان يختص من الاصدقاء اربعة :

- اهل الثروة يستعين بهم في الغم والهم والعوارض التي يتعرض لها .
- اهل شرف يستعين بجاههم في حوادث زمانه .
- ارباب محادثة طيبة في سائر خلواته ويفزع لهم عند الكرب والضجر .
- اهل علم وتدين وحكمة وعقل يفيدونه ويقوونه[5].

اما الاعداء فينبغي عليه ان يحترس منهم كل الاحتراس ويحذر من دسيستهم والمتوسطون منهم صلحاء نصحاء يجب ان يستمع لهم ومنهم سفهاء منافقون اما السفهاء فيجب ان يستعمل معهم الحلم والمنافقون ان يقابلهم بمثل ما فعلو وان لا يتواضع معهم[6].

اما سيرته مع من دونه فمن كان منهم ذا طباع جيدة فينبغي عليه ان لا يدخر وسعا في مساعدته، اما اصحاب الطباع الرديئة فعليه ان يحملهم على تهذيب اخلاقهم .

وينهي ابن ابي الربيع قوله: بذكره عشرون وصيه بعشرين حال فيها نصائح كثيره مغزاها بالحقيقة (ان يعلم انه حق على المرء ان ينظر الى محاسن الناس ومساوئهم ليجتذب المنافع اليه)[7].

- الاخلاق والسياسة عند ابي الربيع

خص ابن الربيع الفصل الرابع وهو الاخير في اقسام السياسات واحكامها وذكر السبب في اتخاذ المدن والداعي الى اقامة السياسة بعد ان اشاد ابن الربيع بالخليف وانه رمز السلطة الدينية والدنيوية وان الغاية التي سعى هي ارضاء الخليفة وتبجليه وقد استعان بالآيات القرآنية في تعزيز السمع والطاعة لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ

(1) ابن ابي الربيع ، السالك ، ص81.
(2) م ، ن ، ص85.
(3) م ، ن ص86 – 87 ؛ التكريتي ، الفلسفة ، ص16.
(4) م ، ن ، ص 87.
(5) ابن ابي الربيع ، السالك ، ص88؛ التكريتي ، الفلسفة ، ص16.
(6) التكريتي ، الفلسفة ، ص16.
(7) ابن ابي الربيع ، السالك ، ص90 – 91 ؛ التكريتي، الفلسفة ، ص 20.

إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾[1].

وينتقل ابن الربيع الى اركان الدولة وهي عنده اربعة اركان : الملك والرعية والعدل والتدبير. ومما تجدر الاشارة اليه انه اكد ان يكون الملك فاضلا وليس فيلسوف مثلما ذكر افلاطون والفارابي من فلاسفة الاسلام[2] فهو شابه يحيى بن عدي[3] في رايه وعنده الملك مضطر الى ست الات وهي الابوة والهمة الكبيرة والراي المتين والصبر على الشدائد والمال والاعوان الصادقون[4] .

الذي يهمني من هذا الحديث هذه الاخلاق التي اشار اليها والتي يجب ان يتصف بها **كل حاكم او ملك او رئيس** .

وكما دعا الى هذه الصفات حذر من صفات اخرى او اخلاق مذمومة يجب الابتعاد عنها مثل الحرص والعجب واتباع الهوى وكذلك على الملك ان لا يغضب ولا يبخل ولا يحسد ولا يخاف وينصح الملك بالعفة والعدل والعفو والحزم والجود[5].

اما ما يخص الرعية فذكر منهم اقسام كثيرة منه المتألهون هم الذين يقتصرون على العبادة والزهد والحكماء والعلماء وذوو الانساب وارباب الحروب وسكان القرى اهل الزرع وعمار الاسواق[6] **وينقسمون الى ثلاثة اقسام :**

(اخيار افاضل وهم محبو الخير وحقهم الاكرام او اشرار اراذل وهم كالسباع المؤذية وحقهم اذا يتم صلاحهم الابعاد والعقوبة اما القسم الثالث المتوسطون وهم يميلون الى الصلاح مرة الى الصلاح مرة والى الفساد مرة وحقهم استصلاح فسادهم ورد مائلهم عن العادات السيئة ويجب على الملك اشغالهم بالعمل والصناعات ليبعد شرهم).[7]

اهم صفة خلقية ناقشها ابن ابي الربيع بخصوص هذا الموضوع وربطه بالسياسة وهي خلق اسلامي عظيم في جميع نواحي الحياة الا وهو العدل فيعرفه ابن ابي الربيع بقوله : (انه حكم الله في ارضه ويستدل المؤلف على شرف العدل اجماع الامم عليه مع اختلاف مذاهبهم فليس منهم الا يوصي به يعرف فضله ومن اعمال العدل برايه : ان يقسم المرء كل شيء على حقه وفي موضعه)[8].

وان لا يخالف السنن الموضوعة له وان يكون صدوقا حفوظاً للمواعيد رحيما بريئا من الدنس وان يجتمع فيه الوفاء والامانة ومن الجدير بالذكر ان تعريف يحيى بن عدي للعدل قوله : (هو القسط اللازم للاستواء ، وهو استعمال الامور في مواضعها).

يعطي ابن الربيع اهميه كبيرة للوزير فيعده هو الشريك في الملك المدبر فيه يحفظ اركانه وانه لابد لكل ملك او خليفة ان يكون لديه وزير منظم للأمور ويستدل على اهمية الوزير ان النبي محمد صلى الله عليه وسلم رغم ما خصه الله تعالى به من الاكرام اتخذ علي بن ابي طالب رضي الله عنه وزيرا حيث قال له انت بمنزلة هارون من موسى وان الله تعالى قال : ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلۡنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرٗا ﴾[9] .

(1) القران الكريم سورة النساء اية 59.
(2) الفارابي ، اراء اهل المدينة الفاضلة ، ص108.
(3) يحيى بن عدي ، تهذيب الاخلاق ، ص91 – 92.
(4) ابن ابي الربيع، السالك، ص95 التكريتي، الفلسفة، ص 23.
(5) ابن ابي الربيع ، السالك ، ص99 – 100.
(6) م ، ن ، ص102، التكريتي ، الفلسفة ، ص24.
(7) التكريتي ، الفلسفة ، ص24.
(8) ابن ابي الربيع ، السالك ، ص104؛ التكريتي، الفلسفة، ص26.
(9) القران الكريم سورة الفرقان اية 35.

ومن الاخلاق التي نادى بها ابن ابي الربيع التي يجب ان يتصف بها **الوزير** هي :

ان يكون عالماً بالأمور حسن العقل شديد الحلم حلو اللسان حميد الاخلاق قليل اللهو بطيء الغضب كتوم السر صحيح الجسم جيد الفكر وان يكون ذا نصح وامانة وصدق للملك [1].

اما الاخلاق التي يجب ان يتصف بها **الكاتب** وهو لسان الملك عند الخاص والعام ان يكون ذكياً فطناً جيد العبارة عذب الكلام .

اما **الحاجب** : فهو الواسطة بين الملك وبين من يريد لقائه ليرتب الناس بين يدي الملك واهم اخلاقه : ان يكون ذا فهم واسع ومنطق بارع وان يكون ذا عقل وحكمة ولين الانتقاد [2] .

اما **القاضي** فهو ميزان الملك من رعيته وصفته فأشار ابن ابي الربيع الى صفاته واخلاقه بقوله :

ان يكون ذا وقار وورع واناة وزهد وان يكون ذكيا فطنا عالما عارفا بأدب القضاء غير متسرع في القضاء ويكون فقيها نزيها عفيفاً وان يكون صادعاً بالحق ولا يقبل الهدايا، طويل الصمت قليل التبسم وان يكون راهب الامة وناشد البرية وعالم الناس في ذلك الوقت[3].

وصاحب الشرطة واهم اخلاقه ينبغي ان يكون حليما مهيبا دائما الصمت طويل الفكر بعيد الغور وان يكون غليظا على اهل الريب شديد اليقظة وحفيظا ظاهر النزاهة قليل التبسم [4].

اما الجليس فالملك يحتاج لهم في مجلسه كالوزير وايضا ذكر اخلاقهم وصفاتهم بقوله :

ان يكون كتوماً للأسرار بعيداً عن النميمة ومتأدبا بحسن الاخلاق وعاقلاً ومتديناً وعفيفاً وليكن خبيراً بخصائص الملوك[5] وغيرها .

اما صاحب الطعام والشراب فيكون على مستوى عالي من الاخلاق في التعامل فيشير صاحب كتاب السالك في تدبير الممالك بقوله :

ان يكون عالما بأدب المجالس بصيرا به وان لا يكون بخيلاً ولا مضيعاً وان يكون ذا ثقة مؤتمناً عاقلاً حراً مجلاً للملك وان يتلطف في تعامله عند تقديم الطعام[6] .

وقد ذكر ابن الربيع العديد من الوصايا والاحكام والامثال على لسان العلماء والمفكرين والحكماء التي لا استطيع ذكرها لان فيها الكثير الكثير من العبر والحكم التي لا تحصى ولا تعد ولكن امثلة منها قوله :

على لسان احد العلماء من الوصايا كلما عذرت نفسك عليه فلا تلم اخاك عليه واذا فعلت فعلا وظهرت رداءته فلا تعاوده ، وقول اخر لتكن سيرتك مع الناس كلهم التواضع ولا تستحقر احدا ولا تسفه على احد[7] وغيرها من الوصايا والاقوال .

وقال بعض العلماء ثماني خصال قبيحة وهي بمن نذكرهم اقبح :

- الضيق من الملوك، وسرعة البطش من السلطان، العظمة من السفهاء، التبذير من النساء، الحيل من الاشراف ، البخل من الاغنياء ، الصبا من العقلاء ، الكذب من الحكماء[8].

ويدرج ابن الربيع ستة عشر نصيحة لمن يريد ان يصلح اخلاقه ولمن يحب الوصول الى الكمال

(1) ابن ابي الربيع ، السالك ، ص110.
(2) م، ن ، ص110 – 112.
(3) م ، ن ، ص 113.
(4) م ، ن ، ص114.
(5) م ، ن ، ص116 – ص118.
(6) ابن ابي الربيع ، السالك ، ص118 – 119.
(7) م، ن ، ص 123 .
(8) م ، ن ، ص 124.

وذلك بان يكون متفقدا لجميع اخلاقه محترزا من دخول اي نقص عليه وان يكون دائما عاشقا لصفة الكمال والا يقف في العلم عند حد وان يأتمر بأوامر الله ورسوله وان يعتدل في كل شيء ويجتنب الاسراف وان تكون قوة العقل دائما طاغية مسيطرة على قوتيه الغضبية والشهوية وان يبتعد عن السفهاء الى غيرها من النصائح التي كررها فيما سبق من الصفحات[1].

الخاتمة

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات من خلال هذا البحث المبسط عن شخصية علمية مثل ابن ابي الربيع الذي غفل عنه الكثير من الكتاب والفلاسفة وجدت انه موسوعة علمية في كل العلوم والمعارف فعند دراستي لكتابه سلوك الملك في تدبير الممالك رايته يعكس نضوجا فكريا وسياسيا وفلسفيا مبكرا يسبق في محتواها فلاسفة كثيرين من المسلمين وغير المسلمين كما ان في الكتاب فلسفة شاملة لتصور العرب والمسلمين لتأسيس الدولة من الفرد الى اعلى سلطة في الدولة وهو الرئيس فهو مفخرة من مفاخر الحضارة العربية الاسلامية .

نلاحظ ان يمزج الانسان بكل مناحي الحياة فنراه يمزج بين الاخلاق والسياسة ويوضح صفات واخلاق الفرد في المجتمع مع كل افراده من الصغير الى الكبير .

كذلك تعامل مع الاخلاق بشكل مؤكدا على الاخلاق الاسلامية التي دعا لها القران الكريم ورسوله عليه الصلاة والسلام مثل الصدق والامانة والشجاعة وحسن الخلق والحكمة والعدل والتواضع وعدم التكبر والعجب بالنفس وغيرها من الاخلاق .

وقد وردت في كتابه على شكل لفظة الفضائل وهي الاخلاق المحمودة والرذائل وهي الاخلاق المذمومة .

وادعو من جميع الباحثين دراسة هذا الكتاب لانهم سوف يجدون فيه كم هائل من المعلومات في جميع العلوم والمعارف من فلسفة وتاريخ وجغرافية وجانب تربوي وسياسة وعلوم عقلية ومنطق واتمنى التوفيق للجميع .

المصادر

القران الكريم

- الزركلي ، خير الدين بن محمود بن محمد ت1396 ، الاعلام ، دار العلم للملايين ،ط15، 2002، ص205؛ سركيس ، يوسف بن الياس ت1352 ، معجم المطبوعات العربية والمعربة ، مطبعة سيركس ، مصر ، 1928، ج1 .
- خليفة ، حاجي، مصطفى بن عبدالله ت 1067هـ، كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون ، مكتبة المثنى ، بغداد ، دار احياء التراث، 1941، ج2.
- ابن ابي الربيع ، شهاب الدين احمد بن محمد ، سلوك الملك في تدبير الممالك ، تحقيق عارف احمد عبد الغني ، دار كنان ، دمشق ، سوربا ، 1996،
- ابي الربيع ، احمد بن محمد ،شهاب الدين ،سلوك الملك في تدبير المسالك ، تحقيق ناجي التكريتي ، دار الاندلس للطباعة ، 1983،ط3
- التكريتي ، ناجي ، الفلسفة السياسية عند ابي الربيع ، دار الاندلس، 1983

(1) التكريتي ، الفلسفة ، ص31.

- مسكويه ، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب ت 421هـ) تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق ، تحقيق ابن الخطيب مكتبة الثقافة الدينية، ط1
- الفارابي ، اراء اهل المدينة الفاضلة، القاهرة ، بدون تاريخ
- كحالة ، عمر بن رضا بن محمد الدمشقي ت 1408هـ، معجم المؤلفين ، دار احياء التراث ، بيروت .
- التوحيدي ، ابي حيان علي بن محمد ت414هـ، المقابسات ، تحقيق حسن السندوبي دار سعاد الصباح ن الكويت، 1995.
- سركيس ، يوسف بن الياس ت1352 ، معجم المطبوعات العربية والمعربة ، مطبعة سيركس ، مصر ، 1928.
- الخطيب، محمد ابراهيم مصطفى، القيم الاخلاقية المحمودة والقيم الاخلاقية المذمومة في سورة يوسف، عمان الاردن ، مجلة البحوث النفسية التربوية ،العدد الثالث ، 2009 .
- حنبكة ، عبد الرحمن حسن ، الاخلاق الاسلامية واسسها، ج2، دار القلم، دمشق ، 2002 .
- النووي، الامام الحافظ محي الدين، منهل الواردين شرح رياض الصالحين ،ج1، دار العلم بيروت ، 1970 .
- مسلم ، بن الحجاج ابو الحسن القشيري ت 261هـ، المسند الصحيح ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار احياء التراث ، بيروت .
- احمد بن حنبل ، ابو عبدالله احمد بن محمد ت241هـ، المسند، تحقيق شعيب الارناؤوط، مؤسسة الرسالة، 2001 .

Conclusion

Praise be to God, whose good grace is accomplished through this simplified research on a scientific figure like Ibn Abi Al-Rabi', who was neglected by many writers and philosophers. I found that he is a scientific encyclopedia of all sciences and knowledge. Its content is many Muslim and non-Muslim philosophers

Also, in the book there is a comprehensive philosophy of the Arabs and Muslims' perception of the establishment of the state from the individual to the highest authority in the state and he is the president.

We notice that man mixes with all aspects of life, so we see him mixing ethics and politics and clarifying the qualities and morals of the individual in society with all his members from the small to the old.

He also dealt with morals emphasizing the Islamic morals called for by the Noble Qur'an and his Messenger, peace and blessings be upon him, such as honesty, honesty, courage, good manners, wisdom, justice, humility, lack of arrogance, self-admiration and other morals.

It was mentioned in his book in the form of the word virtues, which are commendable morals, and vices, which are reprehensible manners

I invite all researchers to study this book because they will find in it a huge amount of information in all sciences and knowledge from philosophy, history, geography, educational aspect, politics, mental sciences and logic.